النظرية الثقافية –الاجتماعية

Vygotsky فيكوتسكي(1896-1934)

نظرية فيجوتسكي ونمو المفاهيم عند الأطفال:

يُعتبر العالم الروسي فيجوتسكي أحد رواد تطور الفكر السيكولوجي، وقد طرح فيجوتسكي نظريته المعروفة بـ " نظرية الثقافة الاجتماعية _ تنمية المنطقة المركزية" التي لم تُعرف في الغرب حتى عام 1958 ولم تنتشر حتى عام 1962 وقد شرح فيجوتسكي في نظريته تلك، كيفية اكتساب المفاهيم وكيف يتم تعلُّمها من طرف الأطفال، ومراحل تطورها حتى تصبح بصورتها الناضجة لدى الشخص البالغ

ركزت نظريته على أربعة أفكار أساسية هي:

1-**المعرفة بناء:** (وهو متأثر بأفكار بياجي،وابتكر أدوات خاصة للقياس وعارض المدرسة السلوكية رغم تبنيه لبعض مفاهيمها.)

2-التعلم يقود النمو

3-النمو لا ينفصل عن السياق الاجتماعي والثقافة تحدد كلا من محتوى التفكير وعملياته

.4-تلعب اللغة دورا محوريا في النمو

مراحل تطور المفاهيم:

1-مرحلة التفكير التجميعي:(من الشهر الاول الى الشهر الثامن)

يميل الطفل إلى تكديس الأشياء بعضها على بعضٍ، فالطفل الرضيع حالما يمتلك قدرة التركيز على الأشياء الواقعة في مجال بصره، يصبح قادراً على استكشاف الأشياء، وتشخيص هويتها بموجب صفاتها المميزة. إنَّهُ يتعلم تصنيف الأشخاص حسب مظاهرهم وأعمالهم، ويستطيع ربط سمات وتصرفات معينة بأبويه، فعندما يقترب أحد الأبوين من الطفل، يتلقاه الطفل بابتسامة، مما يدل على أنه يُميزه عن باقي المتغيرات من حوله. إنَّ هذه الارتباطات الأولية ليست ذات أهمية بحدّ ذاتها، وعلى الرَّغم من كونها غير متميزة وغامضة، ولكنَّها تتراكم لتكوّن قاعدة من الخبرات، أيّ أنَّها المادة الخام للمفاهيم

ينبغي إحاطة الطفل ببيئة غنية ومنظّمة، مما يُسهل على الطفل فهمها وتكوين العلاقات بين عناصرها، لصنعِ مفاهيمه في المستقبل

2-(مرحلة التفكير التعقيدي : (من الشهر الثامن – حتى 12 شهر)

يقوم الطفل بالتصنيف وفق أسس أكثر موضوعية مما سبق، فهو يصنّف على أساس أوجه الشبه، إلا أنّ عمليات التصنيف هذه لا تعتبر دائماً دقيقة، فقد ينخدع بمظهر الشيء ويتصور أنَّه ينتمي إلى فئة معينة و يوجد بينه و بين عناصرها وجه شبه. (فقد يلتهم الطفل قطعة الصلصال السوداء لأنَّها تشبه الشكولاتة)

ينبغي تنبيه الطفل إلى أوجه الشبه والاختلاف عندما تختلط عليه الأمور، وفي الجانب الآخر يمكن تعزيز التشابهات التي يبنيها من وجهة نظره ومن ثمَّ تعديل مسار استغلالها، كي لا نوقف الإبداع الذي بدأ بالظهور بداخله .

3-(مرحلة تكوين المجاميع : (من السنة – حتى السنتين)

يبدأ الطفل في تكوين المجموعات المتقابلة أو المتكاملة فهو يضع الأشياء معاً ليس على أساس وجود شبه بينها، إنَّما على أساس أنَّها تنتمي لنفس الفئة أو تؤدي الوظيفة ذاتها، مثل الأكواب على اختلاف أشكالها ومظهرها إلا أنَّها بالنسبة له كلها أكواب.

4-(مرحلة العقد المتسلسلة : (من 2 إلى 4 سنوات)

يبدأ الطفل في التصنيف على أساس صفة معينة، ثمَّ يشرد ذهنه إلى صفة أخرى
وهذا في حدِّ ذاته تطور هام، إذ يعني أن الطفل يُدرك أنَّ للشيء الواحد عدداً من الصفات، وأنَّ كلاً منها يصلح أساساً للتصنيف، وفي هذه المرحلة يُمكننا ملاحظة مدى المرونة التي اكتسبها عقل الطفل

5- (مرحلة العقد المصقولة : (من 4 – الى 6/5 سنوات)

في هذه المرحلة لا يحدث تغير كبير في طرق التجميع بقدر ما يحدث صقل لتلك القابلية أو المهارة، فتزداد المرونة لدى الطفل. فكما رأينا على سبيل المثال في مهمة تصنيف الأشكال التي ذكرناها في البداية، فالطفلين كانا على

حق، إلا أنَّ استجابتهما تُعد خروجاً على المهمة التي بين أيديهما. ويمكننا في هذه المرحلة ملاحظة إبداع الطفل، لأنَّ ذهنه غير محدد بمعايير الكبار في عملية التصنيف.

ينبغي تشجيع الاستجابات الغريبة، وألا نؤطرها بمعاييرنا كي لا تضمر، فنُلغي الجانب الإبداعي لدى مبتكرها، و نحبسه ضمن قالب النمطية

6-(مرحلة أشباه المفاهيم : (من 6 إلى 8 سنوات)

يقوم الطفل بتكوين تجميعات للمفاهيم، إلا أنَّه غالباً ما يكون غير متأكد تماماً من طبيعة مهمته بالضبط. فقد يقوم بتجميع الأشكال المطلوبة (المثلثات) ولكنَّه غير قادر على تحديد القاعدة التي يستند إليها عمله.

ينبغي الابتعاد عن سؤال (عرِّف كذا؟) في مرحلة الطفولة المبكرة لأنَّ الطفل غير قادر بعد على صياغة التعاريف والقواعد، وإذا تمكن من سردها فهو إذن يحفظها عن ظهر قلب دون أن يعي مكنوناتها

7-(مرحلة تكوين المفاهيم (التفكير المجرد): (تبدأ من سن الثامنة فأكثر)

نتيجة عمل جميع المراحل التي سبق ذكرها. تُعتبر هذه المرحلة تطورا طبيعيا للإحساس بأصناف الأشياء، والإحساس بأنَّ لكلِّ شيء في هذا العالم خصائص وصفات وسمات تشاركه فيها أشياء أخرى. إنها عملية الابتعاد عن الاعتماد على الإدراك وحده، والانتقال إلى القدرة على تجريد صفات الأشياء، وبالرغم من أنها عملية طويلة ومضنية، إلا أنَّها عملية مثيرة، فهي العملية التي ينتقل بها الطفل من التفكير الحسي إلى التفكير المجرد.

خصائص نظرية فيجوتسكي:

الخاصية الاولى :

يُسهم التفاعل الاجتماعي بشكلٍ أساسي في تطوير الإدراك، ويُظهر مدى تطور الطفل ثقافيا مرتين، في البداية على المستوى الاجتماعي ولاحقاً على المستوى الفردي، حيث يظهر أولاً بين الناس وبعد ذلك داخل الطفل

الخاصية الثانية:

(ZPD) يعتمد التطوير الإدراكي على منطقة النمو القريبة المركزية :

فمستوى التطوير يتقدم عندما ينخرط الأطفال في السلوك الاجتماعي. فالتطوير يلزمه تفاعل اجتماعي كامل، ودرجة المهارة التي تُنجز تزداد بتوجيه شخص بالغ، أو تعاون أقران أكثر خبرة، بحيث تتجاوز ما يمكن أن يُنجز بشكل فردي، كما يُساعد في تنقية التفكير أو الأداء لجعله أكثر فعالية. فالوعي لا يوجد في الدماغ بل في الممارسة اليومية.

ويقصد فيكوتسكي بمنطقة النمو القريبة :المسافة بين مستوى التطوير الفعلي الذي ينشا من حل مشكلة بصورة مستقلة وبين مستوى التطور المحتمل حدوثه خلال حل المشكلة بتوجيه بالغ أو التعاون مع الاقران ،أو هو بصيغة أخرى:ماينجزه الطفل اليوم بمساعدة الاخرين ويتمكن من فعله غدا بمفرده بشكل مستقل .

.

إنَّ منطقة النمو القريبة المركزية تختلف باختلاف مراحل النمو المختلفة، أو باختلاف الأوقات أثناء مرحلة امتلاك المهارة. ومناطق النمو المختلفة قد تتفاوت في الحجم، فبعض الطلاب يحتاجون مساعدة كبيرة لإنجاز مكاسب صغيرة في التعلم، في حين أنَّ هناك طلاباً يتقدمون بسرعة في التعلم بمساعدة أقل بكثير من غيرهم. وفي نفس الوقت قد يتفاوت حجم المنطقة لنفس الطفل من منطقة لأخرى، أو في الأوقات المختلفة خلال عملية التعلم.

تطبيق نظرية فيجوتسكي في الفصول الدراسية:لقد وجدت نظرية فيكوتسكي طريقها الى مجال علم النفس المدرسي حيث استغلت في الغرف الصفية من خلال التوجيهات التالية:

1- **طبيعة التفاعل الاجتماعي للتعلم:**وفقاً لنظريته تأتي بداية من خلال تفاعل اجتماعي لذا فعملية بناء المعرفة للمتعلم مع شخص آخر أكثر معرفة، ثم تُبنى ذاتياً كنشاط فردي. ففي الفصول تتم المناقشة الاجتماعية والتفاوض بين المعلم والطلبة وبين الطلبة فيما بينهم :.

2-أهمية الادوات النفسية والفنية:

يعتبر فيجو تسكي أنَّ الوسائط الرمزية مفتاح هام لبناء المعرفة، ومن ضمنها الأدوات النفسية التي تصل داخل الفرد بخارجه. وقد أدرج عدداً من الأمثلة منها

اللغة والأنظمة المختلفة للحساب والكتابة والقطع الفنية والمخططات والخرائط والرسوم ... :الوسائل الرمزية مثل الكتابة والرسم والحوار الشفهي والرموز والأفكار والمعتقدات

هذه الأدوات تتبع من المتعلم نفسه كتحفيز داخلي وتهيئه للتعلم، وتوضح مدى استيعابه للمفهوم. لذا يمكن توظيف الأدوات النفسية كأداة لرؤية المفهوم من وجهة نظر المتعلم، والوسائط الفنية كأداة تمده بكيفية الحصول على المعرفة

3–دور التفاعلات الاجتماعية :إنَّ تعلّم المفاهيم العلمية يتطلب جزءاً من مشاركة المتعلم الاجتماعية مع شخص أكثر معرفة، أو مع مصدر للمعرفة مثل: (الكتاب– المدرس– مجلة – برنامج – حاسوب ...)، فمن خلالها يكتسب المتعلم لغة الاتصال العلمي كطريقة للرؤية والتفكير في الظواهر. وبذلك يكون المعلّم داعماً وموجهاً وأداة وسيطة ومساعدة لعمل ربط بين المفاهيم العلمية والمعرفة اليومية للمتعلم.

المراجع:

الريماوي،محمد عودة(2003).*علم نفس النمو(الطفولة والمراهقة)*.الاردن:دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

سليم ،مريم(2002).*علم نفس النمو*.بيروت:دار النهضة العربية